لا أهلا وسهلا .. ولا مع السلامة

ناهض منير الريس

ديك تشيني بالنسبة إلينا نحن الفلسطينيين العرب والمسلمين هو النائب الأسوأ للرئيس الأسوأ في تاريخ البلد الأسوأ ضدنا وضد قضيتنا مع أنه البلد الأكثر اعتمادا على نفطنا العربي في رفاهيته واستقراره الاقتصادي : نعني الولايات المتحدة .

وسوف يقضي عشرة أيام في منطقتنا متنقلا بين سلطنة عمان والسعودية وتركيا وإسرائيل ورام الله . فلا أهلا وسهلا في القدوم ولا مع السلامة حين الإياب . ولو لم تكن الأمة في دور من أدوار انحطاطها لقابلته بالبيض الفاسد والبندورة المتعفنة على الأقل . لأنه واحد من الذين تدين نحوهم أمتنا بثأر لا ينساه أحد مقابل مصرع مليون عربي عراقي وتشريد ثلاثة ملايين وتدمير البلد الطليعي الذي نحبه .. الثري بموارده المائية والنفطية .. الكريم بطبائع أهله وتقاليدهم السمحة وإبائهم الرضوخ لظلم المحتلين .

والهدف المعلن لزيارة تشيني مزدوج : فالوكالات الغربية اقتصرت على ذكر هدفين : السلام بين إسرائيل والفلسطينيين ، وإقناع الدول العربية الحليفة (المملكة العربية السعودية بخاصة) بالإسهام في وقف التصاعد المستمر في أسعار النفط .

ولكن ما خفي أعظم بكثير . فهذا الممثل الأقبح للرأسمالية الأمريكية يخفي في جعبته الكثير . وكله شر . وكله أذى . وكله دماء ودموع . ومن لم يصدق فليسألنا نحن الفلسطينيين .

تدور شكوكنا حول أن الهدف الأكبر لجولة تشيني هو إعداد التجهيزات السياسية وتحضير المسرح الإقليمي لشن حرب وشيكة على إيران تستهدف مواقعها النووية الأخطر . فهو يقف في واشنطن على رأس الاتجاه الناعق بالحرب الآن ضد إيران بينما تقف كوندوليزا ووزير الدفاع على رأس الداعين للاكتفاء بالضغوط السياسية والاقتصادية . ونحن نسوق هذا الرأي التخميني الذي لا نملك دليلا محسوسا عليه ، ولكن تلفت انتباهنا قرينة ذات مغزى وتثير علامات الاستفهام ، وهي زيارة سلطنة عمان في مقدمة أجندة الجولة . فإذا كانت الأجندة تشتمل حصرا على السعودية وتركيا وإسرائيل والضفة الغربية ، ولكل منها علاقة بالأحداث الساخنة وبالمواقف أو بالمشاريع الأمريكية المعلنة في الأسابيع الأخيرة ، فإن زيارة مسقط لا تدخل في هذا السياق .. ففي أي سياق تدخل إذن وما هي أهمية عُمان على كل حال ؟

إن موقع سلطنة عمان على مضيق هرمز قد يكون أهم وأخطر موقع في تاريخ الجغرافيا السياسية والاستراتيجية في العالم فهو ذو أهمية حيوية قصوى للأساطيل الأمريكية التي تزحم الخليج ، وهو يشرف على طريق ناقلات النفط الضخمة المتجهة من الخليج إلى الغرب ، ويمر منه ٢٠ % من إمدادات العالم من الطاقة . ومثل هذه الزيارة (الثقيلة) لا يمكن أن تكون زيارة مجاملة ولا لبحث قضايا عادية في هذا الوقت الاستثنائي . وإذا نحن ربطناها بالخلفيات التي عاشتها الإدارة الأمريكية وعاشها تشيني نفسه مؤخرا في واشنطن حتى لقد ظهرت إلى العلن الخلافات في داخل الإدارة بين الفريقين ، وإذا تذكرنا أن إسرائيل واللوبي الصهيوني الذي يحكم أمريكا لصالحها لم ينفكوا يلحون إلحاحا على المحافظين الجدد الحاكمين بأن يشنوا الحرب على إيران

ويدمروا مواقعها النووية قبل أن تنتهي ولايتهم هذا العام ، وإذا نحن سمعنا ما تقوله تقارير الخبراء القادمة من أمريكا حول استقالة الأميرال الشريف وليام فالون قائد القيادة الأمريكية الوسطى نظرا للحرب التي شنتها عليه أوساط المحافظين الجدد واللوبي الصهيوني وإسرائيل معا بسبب معارضته الشديدة لاستخدام الوسائل العسكرية ضد إيران (ويقال إنه كان وراء التقرير الذي أعدته أجهزة المخابرات الأمريكية حول الطبيعة غير العسكرية للملف النووي الإيراني ، وهو التقرير الذي صب ماء باردا على رؤوس دعاة الحرب على إيران) . إذا جمعنا هذه الملاحظات بعضها إلى بعض لعرفنا أن تشيني يعيش في هواجسه ورغباته غالبا مرحلة العد التنازلي لضربة أمريكية ضد إيران على أن تكون ذات طابع جوي وصاروخي بالتعاون مع دول المنطقة ، ودون مشاركة أسلحة المشاة أو المدرعات . فالضربة الجوية تظل (من بعيد لبعيد) والإدارة التي ستشنها راحلة عما قريب . وإذا كانت هناك ردود إيرانية فستنزل على دول المنطقة التي خرجت منها الطلعات الجوية أو الصواريخ ذات المدى المتوسط .

نعم .. هكذا يفكر المحافظون الجدد المتصهينون . فهم لا يستحون من أفكارهم القائمة على عقيدة وشريعة الغاب .

ولا بد أن تشيني سيتحدث مع المسؤولين السعوديين حول (الضربة) . علما أن المملكة بنهجها المتحفظ المعتدل راغبة غالبا في النأي بنفسها عن

حرب وصفها العاهل السعودي الملك عبد الله سابقا بأنها إذا نشبت ستكون حرب مائة عام .. وربما يفهم تشيني ذلك ويدرس مباشرة مع العسكريين الأمريكيين في القواعد الأمريكية بالمملكة مسألة استخدام الطيران الأمريكي

دون إدخال السعوديين في عمليات لا يرغبون في دخولها ولا ضرورة ماسة لإدخالهم فيها .

لكن الغرض الأكبر من هذه الزيارة إلى السعودية في هذا الظرف وهذا التوقيت متعلق بالنفط حتما . فالأمريكيون يريدون زيادة إنتاج آبار النفط إلى الحد الذي يحدث فائضا في السوق يؤدي إلى وقف ارتفاع الأسعار الجنوني حسب رأي الأمريكيين المعلن . ولكن مما يبعث على التشكك في هذا الغرض هو أن الأمريكيين مستفيدون من ارتفاع الأسعار بموجب شراكتهم في أرامكو . ولكن ربما يريدون استغلال الظرف الراهن وحالة السوق للضغط من أجل زيادة الإنتاج وإرساله إلى المراكز الأمريكية (على الحساب) أو مقابل بترودولار تتلاشى قيمته دوريا ، وتعزز أمريكا وضع احتياطياتها النفطية من خلال حقن الواردات الجديدة في الآبار الأمريكية الناضبة . ومسألة حقن النفط العربي في الآبار الأمريكية هي جزء من عملية النهب الفاحش المستمر منذ أكثر من ربع قرن بهدف نقل الموارد العربية إلى الخزانات الأمريكية كما يعلم بعض العاملين السعوديين في أرامكو بالمنطقة الشرقية الذين اكتشفوا أكثر من مرة (وخشوا أن يرفعوا صوتهم) أن الشركة تتلاعب في عدادات تعبئة الناقلات وتسرق لحسابها كميات من النفط الخام عن طريق المغالطة في حركة العدادات . ومما يعزز هذا الزعم ويشكل وثيقة وشهادة عليه أن عددا من أعضاء الكونغرس كانوا أثناء زيارة لهم إلى الخليج قبل عدة سنوات أطلقوا وهم في الدوحة تصريحا يطالبون فيه مباشرة بنقل نفط الخليج كله إلى أمريكا !!!!!

كان ذلك الكلام في ذلك الحين يبدو (شطحة) من شطحات القول غير مستغربة على التفكير الأمريكي . ولكن التجارب أثبتت أن هذه المطالبة الوقحة بحق اللص أن يسرق ما يريد من بيوت الآخرين كانت تمثل حقيقة ما يدور في العقول والأفهام . وكان نجاح المحافظين الجمهوريين الجدد في انتخابات عام ٢٠٠٠ وتربع بوش على عرش العالم إيذانا بعصر السرقات الوقحة التي يسمونها في القانون الجنائي العادي (السطو) عندما تقترن باستخدام القوة . وكان ديك تشيني هو شيخ المنسر أكثر من أية شخصية أخرى ضمن العصابة . وصار من المستفيدين المباشرين من نكبتنا القومية في العراق ، والوالغين النهمين في دماء مليون عربي عراقي ، وذلك من خلال استفادة شركة هاليبرتون التي هو عضو نافذ في مجلس إدارتها وموجه نشط للسياسات الأمريكية في منطقتنا .

وهذه الفئة من رجال السياسة الأمريكيين تؤمن بشريعة الغاب وتؤمن بالصهيونية وتؤمن بأن الزمان هو زمان الامبراطورية الأمريكية .

وقد يكون موضوع (الضربة) ضد إيران واحدا من موضوعات أجندة تشيني في تركيا بالإضافة إلى موضوع صراع الحكومة التركية مع حزب العمال الكردستاني . وهذا موضوع دقيق لأنه مرتبط في جانب منه بالحماية الأمريكية . الإسرائيلية لحكومة الأكراد في شمال العراق . ويقال كذلك أن موضوع نشر الدرع الصاروخية الأمريكية في الأراضي التركية قد يكون واحدا من اهتمامات زيارة تشيني في تركيا .

أما في إسرائيل فيخيل لنا أن ترتيبات (الضربة) لإيران هو الذي سيستغرق معظم وقت الزيارة . وقد تشارك إسرائيل بطيرانها فيها ، وقد يسندون إليها دورا

آخر . وفي جميع الحالات فمعلومات جهاز الاستخبارات الإسرائيلي (الموساد) لها مكانها في التنسيق ووحدة الحال بين الطرفين باعتبار الموساد ضارب جذوره قديما في السافاك أي جهاز المخابرات الإيراني الذي جرى حله وتصفيته منذ زمن ، ولكنه لم يندثر تماما فله أهمية وأولوية لدى الموساد .

وإذا كنا عقلاء وفاهمين ومستخلصين للعبر الحقيقية من مسيرة أنابوليس ونتائجها لعلمنا أن مسألة (الضغط على إسرائيل من أجل سلام مع الفلسطينيين بحلول نهاية ٢٠٠٨ كما قال بوش) هي واحدة من الأوهام التي يتعيش عليها أولئك الذين يتشبثون ببقائهم ويعلقون عيونهم بالفم الأمريكي في انتظار أية لفظة يأخذون في تحليلها وتفسيرها كما يحلو لأحلامهم . وإذا كان الأمريكيون قد مهدوا لجولة تشيني بالقول إنه سيذهب إلى الشرق الأوسط للضغط على الإسرائيليين والفلسطينيين لتسريع العمل بموجب خارطة الطريق والوصول إلى السلام على أساس وجود الدولتين جنبا إلى جنب بنهاية عام ٢٠٠٨ فهذه هي الأكذوبة التي اصطنعوها لتغذية تطلعات السعودية تحديدا نحو (إنجاز) يجعل الصداقة العربية . الأمريكية مقبولة إلى حد ما لدى الرأي العام السعودي والعربي عامة . وعلى أساس هذه الأكذوبة يريد الأمريكيون الحيلولة دون عقد مؤتمر القمة العربي في دمشق (وذلك جهارا نهارا في تصريح وقح صرح به الناطق الأمريكي الرسمي) . فالوعود الفارغة بالضغط على إسرائيل لتحقيق السلام مع الفلسطينيين كانت وما زالت الأكذوبة المتكررة على لسان الأمريكيين أمام أصدقائهم العرب .

بقي في جولة تشيني بلد واحد هو رام الله . وما من شيء يمكن أن يمضغه تشيني كالشيوينج جم غير عبارتين اثنتين : عودوا إلى التفاوض مع إسرائيل

دون شروط . ولا تحركوا ساكنا إذا اجتاحت إسرائيل قطاع غزة .. فذلك جيد لكم إن كنتم تعلمون !

لا أهلا ولا سهلا في القدوم ولا مع السلامة في الإياب . أنتم والله العدو في هذا الزمان مثلما كانت بريطانيا العدو في منتصف القرن الماضي . ولو لم نكن في زمن من أزمنة الانحطاط لأغلقنا دون تشيني كل مدخل إلينا وكل مطار في المنطقة العربية والإسلامية .